العصر الاسلامي (شعر الدعوة) :

يبدء بظهور الدعوة الى الاسلام وأدركَه الرسول -عليه السلام-، ويُؤرّخ هذا العصر منذ بداية الدين الإسلامي وانتشاره حتّى نهاية خلافة بني أُميّة، وقد أحدث ظهور الإسلام وانتشاره تحوّلًا جذريًا في الحياة الأدبيّة للأمّة، في زمن كانت العرب أُمّة ممزقة، تكاد تفنيها الحروب والمنازعات . وكانوا - إلا قليلاً منهم - أُمّة جاهلة تتقاسمها العقائد الفاسدة ، وكانوا غلاظاً شداداً ، و يدينون بالوثنية ويعبدون آلهة متعددة . فجاء الإسلام ليوحدهم تحت رايته وليكون الرسول (ص) زعيمهم ، وتتبدل صفاتهم إلى العدل والرفق والرحمة واللين.

الشعر القاء وانفعال والقران ايحاء، والإيحاء يكون أعلى درجة من الالقاء.

ازدهر الشعر في عصر صدر الإسلام حيث استخدم للدفاع عن الدين بمدح رجاله متأثراً بأسلوب القرآن العذب وبيانه الرصين وكذلك تأثر ببلاغة الرسول (ص)وفصاحته التي لا مثيل لها .

الأدلة التي جاءت من السنة النبوية جاءت لتساند وتعضد النص القرآني ففي قول النبي (إن من الشعر لحكمة)، وإعجابه بشعر لبيد، وحثه لحسان بن ثابت على الرد عنه وهجاء قريش؛ وقول الرسول(ص) اهجهم وروح القدس معك ،وقوله(ص) كلها تؤكد ضرورة (أسلمة الشعر) أي جعل الشعر يخرج من مصنع الإسلام بخامات إسلامية ليعبرعن قيم الإسلام وتعاليمه.

نعترف بأن الشعر قد خبت جذوته وتوارت بلاغته في إبان البعثة النبوية وخلالها . لقد توراى الشعر وتحامى إنشاده بالشكل الذي تعودوا أن ينشئوه وينشدوه قبل البعثة المحمدية بقليل .

ومضى كثيرون ينظمون في هذا العصر لامع الأحداث ، بل مع أنفسهم وقبائلهم مستضيئين إلى حد كبير بالإسلام وهديه الكريم ، فالشعر لم يتوقف ، ولم يتخلف في هذا العصر ... ومن يرجع إلى كل هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهرا في صدر الإسلام .

<u>الرأيان البارزان في قيمة الشعر من حيث القوة والضعف في عصر صدر الإسلام كالآتي:</u>

رأي يقول بضعف الشعر وأول من أثاره ابن سلَّام في كتابه طبقات فحول الشعراء: "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح .وأطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير ؛ ونقد ابن سلَّام لشعر حسان بن ثابت في الجاهلية والإسلام وسقوط شعر حسان - من وجهة نظر ابن سلَّام - في الإسلام، وتابعه في ذلك ابن خلدون وغيره إلى العصر الحديث ومنهم أحمد الزيات ومصطفى الشكعة وغيرهم.

<u>أما الرأي الثاني</u> الذي يمثله شوقي ضيف فيرى أن الشعر ازدهر ويؤكد رأيه بالعديد من النماذج التي تزخر بها كتب الأدب وكثرة عدد الشعراء في تلك الفترة، ومواكبتهم للدعوة الإسلامية.

أرى أنه احقاقا للحق وطبقا لما سبق من أن الشعر عامة قد ضعف وأن غالبية الأغراض قد قلت إن لم تكن ندرت، عدا بعض الأغراض التي أملتها ظروف الدولة في ذلك العصر كشعر الفتوح وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول. وكان من أهم أسباب ذلك

الضعف عدم سهولة التكيف على تعاليم الإسلام الجديدة سلوكا، فما بالنا بصياغة ذلك شعرا . لقد ظل الشعراء ينتهجون الأسلوب الجاهلي صورا وأخيلة عدا إدخال بعض الألفاظ للمرادفات الإسلامية في بداية عهد الرسول، فبجير بن زهير وإن كان أسلم عقيدة وأعمق إيمانا إلا أنه يقول شعرا ممزوجا بين أسلوب الجاهلية والمعاني الإسلامية :

الى الله - لا إلى العزى ولا اللات - وخذه فتنجوه إذا كان النجاء وتسلمُ

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من النار إلا طاهر القلب مسلمُ

وهناك الحطيئة الذي التزم بمدرسة الجاهلية أسلوبا ومنهجا ، فهو التزم منهج الهجاء حتى لقد هجا أمه وامرأته وبنيه حتى نفسه. وبتصور المحاولات والزمن أصبح " الشعر مكتسيا ثوب الإيمان ملتزما المعاني الإسلامية ... جانحا إلى أسلوب الشعر الجاهلي" وهذا ليس عيبا في الشعراء وإنما هم كانوا يحاولون صياغة الأشعار على النمط الإسلامي إلى أقصى درجة ممكنة ؛ ولكن لصغر مدة الرسالة المحمدية ، بالإضافة إلى عدم إسلام الشعراء جميعهم وقت بداية الرسالة كان من أهم الأسباب التي أدت إلى بطيء تطور الشعر في ذلك العصر .

فكعب بن زهير أسلم في بداية الأمر تخوفا من القتل، ولذلك نرى في لاميته المشهورة (البردة) المدح الجاهلي، والقصيدة كلها بدءا من البداية الغزلية إلى النهاية جاهلية الأسلوب، فأكثر أبياتها مجرد مدح لا يكاد يرتفع إلى مقام الممدوح وهو سيد الرسل ؛ وكأن الممدوح هو محمد القرشي لا محمدا الرسول :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيم أثرها لم يفد مكبولُ

وكان من غير الممكن أن يظل الشعر قويا مزدهرا مع انتشار الإسلام وتعاليمه ، إذ كان لابد من أن يتعارضا، فالعربي عقد موازنة بين الشعر القديم وقيَّمه وأفكاره وبين الإسلام وتعاليمه وقواعده وأركانه ، وكان التفوق في ذلك الوقت للإسلام وقيَّمه وأفكاره ، خاصة وأن الشعر كان يعارض - في أغلب موضوعاته - قيم الإسلام وموضوعاته من تعرض للأنساب، وإثارة للحقد والضغائن، ووصف الخمر ... وغيرها .

فلبيد بن ربيعة قد أدرك الإسلام وهو كبير السن ، قد استوت له ملكاته واستوي له اتجاهه الفني ... وشغل بالقرآن فاختلف تأثره بالإسلام عن تأثر غيره من الشعراء فإذا هو يحرِّم على نفسه الشعر ويجتزيء بالقرآن الكريم عنه وغيره من العرب وليس بقولنا بضعف الشعر اتهام للإسلام بأنه السبب ؛ بل السبب الشعر في حد ذاته بمعني أدق طبيعة موضوعات الشعر - والشعراء أنفسهم واختلاف الفترتين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي .

إذا استعرضنا ما نعرف من نصوص الشعر في العصر الجاهلي مقارنةً بما نعرف من نصوص الشعر في صدر الإسلام، فإنّنا نجد:

١- كثيراً من الأغراض الجاهلية قد استنفدت أغراضها، ولم تعد تصلح للبقاء في ظل الدين الجديد، فقد أبطل الإسلامُ العصبية، ونبذَ هجر القول وفاحشه، وجاء بالجد الحق، داعياً إلى الجهاد، والعمل على صلاح الناس، وزاجراً عن النقائص والآثام، والقضاء على سجع الكُهّان

الذي كان مُرتبطًا بالوثنيّة الجاهليّة، كما ونهى الإسلام الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، فظهرت الخطابة الدينيّة، وأصبح الشعراء يعزفون عن نظم القصائد على غرار القصائد التي كانت تُنظم في الجاهليّة، واتّجهوا مقابل ذلك إلى أغراض دعا إليها الإسلام، كالشعر الديني وشعر الجهاد والفتوحات الإسلامية، وأصبح شعرهم يدور حول المعاني التي تتّصل بالقيم الإسلامية؛ فانعكست هذه المبادئ في الأدب في العصر الإسلامي،

فاتجهَ الشعراء الإسلاميّون وجهة جديدةً إذ أخذوا يحبذون فضائل الإسلام، ويمدحون تعاليمه، ويفخرون بما لنبيهم الكريم، من حب في الخير، ودعوة إلى سبيل الله، ومن يقرأ مدائح حسّان وكعب وغيرهما يجد المعاني الإسلامية، والأغراض الدينية قد ظهرت بوضوح، وقلَّ من الشعراء مَن التزم إذ ذاك بالطريق الجاهلي مثل الحطيئة، حيث لم يستطع أن ينفعل سريعاً بتعالم الدين، ولكنَّ الأيام قد ساعدت، على ظهور روحٍ جديدة، لدى شعراء هذا العصر.

٢- وألفاظ الشعراء قد تأثرتْ كثيراً بالقرآن فظهرتْ لدى الإسلاميين، كلماتٌ من الذكر الحكيم بنصّها أما معاني القرآن فقد اقتبس الشعراء منها الكثير.

٣- كلماتُ الصلاة والصوم والزكاة والإسلام، والإيمان والجهاد، والجنة والنار والحساب والبر والمعروف وحدود الله، ترددت في الشعر الإسلامي، بتأثير القرآن الكريم، والدعوة الإسلامية وكان نفرٌ من المؤرخين يظنون أن الشعر قد ضعف، في هذا العصر عما قبله لأن القرآن نهى عن وصف الخمر والهجاء والغزل الفاحش، فقلّت أغراض الشعر، ولكن الثابت أنّ أغراضاً جديدة هامةً قد جدّت، مثل وصف الفتوحات الإسلامية، وأماكن الجهاد في بلاد الروم وفارس وكل ذلك مدوّن في كتب التاريخ وينتظر من يجمعه، في كتب الأدب، ويُلقى عليه مزيداً من الضوء، والحق أن الذي تغيَّر هو صلابةُ الشعر الجاهلي، ووعورة ألفاظه، إذْ كان لكتاب الله وحديث رسوله الكريم أثرٌ في البعد عن اللفظ الغريب، والكلمة غير المأنوسة، وفيما تقدّم من الأمثلة ما يرشد إلى هذا الاتجاه..

أقر الاسلام قول الشعر ونضمه ثم هذبه بتعاليم الإسلام ولذلك نجد أن الرسول(ص) قد شجع على قول الشعر في قوله لحسان بن ثابت :"أهجهم(قريش) فو الله لهجائك أشدُّ عليهم من وقع السهام...أهجهم وروح القدس معك".هكذا سخر الشعراء شعرهم لخدمة الإسلام و الدفاع عن الرسول (ص).

ولا نعدم الجنبة النثرية التي اخذت مساحة لتعويض نقص الشعر ومحدودية اغراضه، فأخذت الخطابة تثبت أقدامها لحاجة المسلمين إليها عصرئذ، وبدأت تسير في طريق النماء والنضج بشتى أنواعها وفي حين توارى سجع الكهان ظهرت مكانة الخطابة الدينية والخطبة الحفلية الخاصة بالوفود، فكان الرسول يخطب في المسلمين موضحاً لهم شؤون عقيدتهم. وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق. وقد احتلت الخطابة الدينية المنابر وحلقات المساجد منذ ذلك العصر، وكثر الوعاظ والقصاص .

كان النثر في هذه الحقبة إسلامياً، سواء في سماته الفنية أو في أغراضه ومعانيه. ومن أظهر الآثار الإسلامية في نثر تلك الحقبة حرص الخطباء على استهلال خطبهم بذكر اسم الله وحمده

والصلاة على نبيه، وتضمين خطبهم بعضاً من آي القرآن، حتى لقد سموا الخطبة بتراء إن لم تبدأ بذكر اسم الله وحمده، وسموها شوهاء إن هي خلت من آي التنزيل. هذا إلى جانب الاستمداد من المعاني الإسلامية والقرآنية، ومحاكاة الأسلوب القرآني والاستعانة بالصور والأمثال القرآنية..

وكذلك ظهر فن الترسل، فإن قيام الدولة الإسلامية استدعى وجود كتاب يوجهون الرسائل إلى العمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول كتابه كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتابهم. استعان بهم الرسول لكتابة الوحي ومن الكتاب في العصر الاسلامي أبان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت .

ومن الرسائل المهمة في تلك الحقبة رسالة عمر بن الخطاب التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري في بيان أحكام القضاء بين المسلمين ورسالة الامام علي ابن ابي طالب (ع) لعامله في مصر مالك الاشتر.

قد مَرَّ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ القديمُ بالعديد من الأزمنة والعُصور حيث بدأ في العَصْر الجاهِلِيِّ بالتفاخُرِ وإظهارِ القُدُراتِ الشِّعريةِ في المجالس والأسواق والحروب، ثمَّ تطوَّرَ الشِّعرُ الإسلامي في زمن الصّحابةِ الكرام وقد كان من أحَدِّهم لساناً في الشعر حسّانُ بنُ ثابتٍ حيثُ لُقِّبَ بشاعرِ رسول الله(ص)ثُمَّ امْتَدَّ إلى العَصْرِ الأُمَوِيِّ فالْعَبَّاسِيِّ والأّنْدلُسِيِّ وغيرها من العُصورِ الأُخْرَى.